

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محاولات يائسة لطمس جرائم الإمامة المتوكلية ضد اليمنيين وضد إرث العثمانيين في اليمن

التاريخ لا يُنسى والوثائق لا تُمحي

الدكتور محمد نيازي (بروفيسور من منطقة طرابزون في تركيا) سخر كل عمره في تقصي وتحري الوثائق العثمانية الخاصة باليمن (توجد حوالي 28 مليون وثيقة في إرشيف الدولة العثمانية في إسطنبول وهي خاصة بالحكم والوجود العثماني باليمن)، كتب روايته التاريخية المشهورة وهي عبارة عن 550 صفحة، سمّاها " اليمن أه من اليمن "، وهي عبارة عن روايات لوقائع تاريخية حقيقية حدثت أثناء وبعد سقوط الدولة العثمانية عقب الحرب العالمية الأولى، وقد استخرجها من الإرشيف العثماني، وهي أفضل رواية توثق لجرائم الأئمة المتوكليين ضد العثمانيين في اليمن، ومعظم تلك الجرائم حدثت في ظل حكم بيت حميد الدين خاصة الامام يحيى بن محمد حميد الدين وبالذات أثناء حكم السلطان عبدالحميد الثاني، أي في السنوات الأخيرة لعهد الدولة العثمانية، كما رواها لي مترجم هذه الوثيقة التاريخية المؤرخ التركي يشار شريف من التركية الى العربية، وهو صديق مشترك بيني وبين البروفيسور محمد نيازي، علما بأن أعمال الترجمة لهذه الرواية التاريخية لم تنجز بعد.

إبتداء لابد من التذكير بأن الاسباب الحقيقية التي دفعت بالعثمانيين للوصول الى اليمن كان بسبب ما توارد اليهم من معلومات عن تزايد أطماع الدول الأوروبية الغازية مثل بريطانيا والبرتغال للتوسع في السيطرة الاستعمارية ابتداء من القرن السادس عشر ونيتهم لاحتلال باب المندب والأراضي والجزر اليمنية وقد كان العثمانيون يعتبرون باب المندب هو باب مكة المكرمة كما أن الأراضي اليمنية تعد البوابات الجنوبية لأراضي الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكما هو معروف فقد اكتفت بريطانيا باحتلال عدن وما جاورها من أراضي جنوب اليمن واكتفت البرتغال باحتلال جزيرة سقطرى ثم انسحبت منها بعد عقود من احتلالها، لكن العثمانيين وصلوا وحموا الكثير من المناطق خاصة في غرب ووسط وشمال اليمن كما حموا الكثير من الجزر اليمنية.

كل ذلك لم يشفع للعثمانيين حيث عمل الأئمة الأعاجيب بالجيش العثماني وبالعوائل والأسر العثمانية، بعضا من تلك الجرائم مما تقشعر لها الأبدان وهي جرائم مكتملة الأركان ضد الإنسانية، مما سبب أكبر مأساة تعرض لها العثمانيون باليمن، ويتداول الأتراك سماع الكثير من الأغاني المشهورة و الحزينة التي تتناول قصص من تلك الجرائم التي حدثت لهم في اليمن.

وفي موسوعة المؤرخ اليمني الاستاذ علي جارالله الذيب الهمداني، باسم " النهضة الحضارية باليمن في ظل الخلافة الإسلامية العثمانية" - موسوعة تحت الطبع - يوثق بالحيثيات والشواهد الحقائق والصور حجم النهضة التعليمية والفنية والاقتصادية ومن ضخامتها تحتاج الى أن تفرد لها عدة كتابات لإعطائها ما تستحق من اهتمام، ويلخص انجازات الدولة العثمانية بأربعة محاور:

- 1- دحر العدوان وصد الغزاة والمستعمرين. المهديين لليمن بالاحتلال.
- 2- حماية وتحصين المدن والجزر اليمنية وذلك بإنشاء المباني الضخمة والحصون والقلاع المنيعة، في الجبال والسواحل والجزر الهامة المختلفة.

3- توحيد اليمن كاملاً في كيان سياسي وأحد بعد أن كانت تتنازع عدة سلطات وزعامات محلية طامحة ومتصارعة.

4- إحداث نهضة في المجالات الحيوية المختلفة، وقد شملت مجالات التعليم والصحة والزراعة والصناعة والإدارة والتشريعات والأنشطة العمرانية، والمحاكم والشؤون القضائية والإعلام والثقافة والفنون - المطابع وغيرها - والمواصلات والطرق والاتصالات - البرق والتلجراف - والجيش والأمن وغيرها من أسس ومتطلبات النهضة الحضارية.

لكن بالمقابل يذكر المؤرخ الذيب كيف أنه بسقوط الدولة العثمانية وخروجها من اليمن خاصة بعد الحرب العالمية الأولى ووصول الإمام يحيى حميد الدين لاستلام مقاليد الحكم فيها، تم طمس الكثير من معالم تلك النهضة الحضارية، لعل أبرز ما جاء فيها:

- 1- تم التنازل عن الكثير من الأراضي اليمنية وتمكين الغزاة والمستعمرين مقابل تمكين سلطة الإمامة، ومن ضمنها التخلي عن أراضي جنوب اليمن وتركها للبريطانيين بعد أن حرّرها القائد العثماني علي سعيد باشا ومعه أبطال يمنيون، وفي شمال الشمال تم التخلي عن عسير للأدارسة وكذلك الربع الخالي في الشرق.
 - 2- وأفريقيا اليمنية "الساحل الشرقي لأفريقيا من بلاد الصومال وحتى نهاية بلاد الدناكل اريتيريا" والتي كانت تتبع ولاية اليمن الى نهاية العهد العثماني.
 - 3- وحتى ما تبقى من اليمن تحت حكم الأئمة، فقد تم تمزيقه سياسياً، ومذهبياً، واجتماعياً وتسليط فئة ضد أخرى من باب سياسة "فرق تسد".
 - 4- تعطيل الحياة النيابية وعدم إجراء أي انتخابات كما كانت تتم من قبل، بل وإغلاق مبنى البرلمان في صنعاء نهائياً، كما تم أيضاً إلغاء المجالس المنتخبة الأخرى والتي كانت تنتخب الأهالي لمعاونة السلطة التنفيذية والإشراف عليها، تحول المبنى فيما بعد الى سجن للنساء ثم تم تأجيره عام 1928م لشركة روسية لبيع التبناك وطحن الشمة "البردقان"، وبعدها تم بيعه لبعض أهالي صنعاء-كما، يذكر أ.د حسين العمري في تحقيقه لكتاب حوليات العلامة الجرافي الصادر بتاريخ 1992.
 - 5- إغلاق المدارس والجامعات التي كانت قد أنشأتها الدولة العثمانية، وتحويلها الى غير ما أنشئت من أجله؛ كهدم جامعة المعلمين العليا بصنعاء-حاليا مكانها مبنى السينما الأهلية وموقعها في حي الميدان شمال جامع قبة البكيرية بأمانة العاصمة صنعاء.
 - 6- جامعة السلطان عبد الحميد للصنائع بصنعاء التي حولها الإمام الى سجن عُرف بسجن الصنائع- حاليا المتحف الحربي، ومنها ما تحول الى مخازن للخردة وكذلك مبنى كلية البنات - حاليا هيئة مكافحة الفساد -
 - 7- ومنها ما تحول الى سكن عائلي كمبنى كلية الإداريين والمحاسبين "الرشيدية" بحي خضير بشعوب وهبها الإمام لأحد أصهاره.
 - 8- توقف الحياة الصناعية وتعطيل المصانع المختلفة "كمصنع الحديد والصلب ومصنع قطع الغيار ومصنع الأسلحة والذخيرة بباب اليمن والذي كان ينتج من سبعة الى عشرة ألف طلقة بندقية ومدفعية، في اليوم الواحد- حاليا الورشة المركزية بباب اليمن.
 - 9- توقف الخدمات الصحية والطبية للمواطنين، وإغلاق المستشفيات والصيدليات العامة التي كانت تقدم خدماتها للمواطنين على حساب الدولة، كإغلاق المستشفى العسكري العثماني بصنعاء الذي كان يضم أكثر من 370 سريراً وفيه أحدث الأجهزة الطبية في ذلك الوقت وقد حوّله الإمام يحيى الى سكن خاص به سمّاه دار السعادة وهو اليوم مبنى المتحف الوطني والتوجيه المعنوي.
- وهنا أسرد تفاصيل هذا المستشفى من واقع الكتاب الوثائقي " اليمن - رحلة الى صنعاء " للرحالة الإيطالي رينزو مانزوني الطبعة الأولى مارس 2011، إصدار الصندوق الاجتماعي للتنمية - صنعاء، هذا الرحالة الذي زار اليمن في الفترة 1877-1878 ومكث في صنعاء عدة أشهر كتب يصف المستشفى:

في صنعاء يوجد مستشفى عسكري رائع (الخشنة خانه) وهو عبارة عن مبنى رائع وضخم مصمّم على الطريقة الأوروبية يتألف من طابقين له أروقة عريضة جداً وعشرين صالة واسعة للمرضى مقسّمة بحسب الأمراض لذلك نجد صالة للمصابين بالزهري, وصالة للجراحة وصالة للمصابين بالحمى وصالة للأمراض المعدية وصالة للأمراض البصرية, يعمل هذا المستشفى - وتخيّلوا نحن مازلنا في عام 1878 - على مدار ال 24 ساعة في اليوم, وفيه 6 أطباء مسيحيين يرأسهم طبيب عسكري تركي برتبة عقيد كما يوجد 8 جراحيين و 10 صيادلة وفنيي مختبرات وغرف للأموات ويوجد فيها موظفون يونانيون, وكذلك طبّاحون ومعاونو خدمة للنظافة والحراسة والتموين وغيرها.

ذكر أيضا أن البريد بين صنعاء والحديدة كان يمضي بصفة منتظمة بإرسال ووصول خلال اسبوع. وذكر وصفا للمدرسة التركية والمقسمة الى قسمين ابتدائي وتقني, وكان يلتحق بها الصبية الصناعيون الذين أدرك أبائهم أهمية وضرورة التعليم.

وأعود لما ورد في كتاب المؤرخ الفذ الاستاذ علي الذيب باسم النهضة الحضارية باليمن في ظل الخلافة الإسلامية العثمانية: الحصاد المر لحكم الأئمة المتوكلين

1- توقيف المشاريع الاقتصادية العملاقة في مجال المواصلات والنقل كالقطارات والسكك الحديدية, وغيرها والتي كانت ستسهّل الحركة وتدر على اليمن خيرات كثيرة ومبالغ طائلة حيث تم إدخال القطارات الى اليمن وقد سار أول قطار ودخل الى اليمن عام ١٩١١م وتم ذلك في احتفال مهيب بمدينة الحديدة, شهده كبار رجال الولاية في اليمن.. وظل القطار يعمل إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى رغم توقف العمل أيام الحرب, وبعد خروج الإدارة العثمانية عادت الشركة لإكمال العمل لكن الإمام رفض السماح لتلك الشركة المنفذة بإكمال السكك الحديدية وتم تعطيلها نهائياً ومنها مشروع سكة حديد الحديدة صنعاء والتي وصلت الى منطقة الحجّيلة باتجاه بلاد أنس الكائنة خلف جبال مناخة من جهة الجنوب ورفض الإمام السماح للشركة الفرنسية من إكمال المشروع على الرغم من استلامها للمبلغ كاملاً من الإدارة العثمانية, بل وكانت الطامة الكبرى أن أمر الإمام بقلع ما تم إنشاؤه من السكك الحديدية واستخدام الحديد فؤوس ومفارس ومطارق وقيود للأحرار واستخدام الخشب دعامات وسقوف للبيوت.

والخلاصة أن اليمن خسرت بذلك أكبر مشروع اقتصادي في حياتها الحديثة كان سيعود عليها بالخير العميم.

2. إغلاق المطابع التي دخلت الى اليمن كأول مطبعة في الجزيرة العربية وتوقيف عمل الصحافة, ومنع حرية التعبير, بعد أن كانت تطبع الصحف والمجلات الأسبوعية والشهرية التي كانت تثبت الوعي وتوزع الى مختلف النواحي والمحافظات وبل والى البلدان الخارجية "كصحيفة اليمن الصادرة عام ١٨٧٢م أو صحيفة صنعاء الصادرة عام ١٨٧٦م ولا تزال أعداد منها موجودة الى اليوم, وقد توقفت جميعها في بداية القرن ٢٠م بعد استلام الإمام يحيى حميد الدين لمقاليد الأمور في اليمن.
3. تسريح الجيش النظامي المحترف والذي تم تدريبه وتأهيله على أعلى المستويات في حينه واستبداله بمجاميع جاهلة وغير مؤهلة تتبع مذهب الإمامة وتنفذ أوامرها.

4. توقف النظام المالي والمحاسبي وإغلاق البنوك وسحب مخزونها من الذهب والفضة الى خزائن الإمام الخاصة، وتوقف شبه تام للحياة التجارية المتعارف عليها عالميا في ذلك الوقت" كما تم إلغاء العمل بالعملات العثمانية المتداولة خاصة الورقية وإبطال نظام الشيكات النقدية والسندات المالية وغيره.
5. توقف العمل في مختلف المجالات الإنشائية والعمرانية العامة ، والتي كانت تقوم بها الدولة في كافة القطاعات المختلفة كإنشاء الدوائر الحكومية وخانات الضيافة السلطانية والمدارس والأسواق والجسور والطرق وغيرها.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن كيف غابت كل هذه الحقائق والوثائق والوقائع التي تحكي عن تاريخ الدولة العثمانية في اليمن لبعض الباحثين الذين شوّها تاريخ العثمانيين وطمسوا وغيبوا كثيرا من هذه الحقائق وقام البعض بقراءة انتقائية لعدد محدود جدا من تلك الوثائق , كان الغرض منها طمس كل جرائم الملكيين القدامى وبرزهم واكثرهم تخلفاً الامام يحيى حميد الدين ومن بعده ابنه الأكثر دموية واستبدادا الامام أحمد يحيى حميد الدين اللذان حكما اليمن في الفترة (1918-1962) , وأكثر ما جاء في بعض من تلك الدراسات الانتقائية تمجيذا للأئمة من بيت حميد الدين وأنهم جاءوا لإنقاذ اليمن وتبريراً لكل التمردات والحروب وسفك الدماء والتي خاضوها ضد العثمانيين, مع إغفال لكل الإرث الحضاري الذي تركه العثمانيون بعد مغادرتهم اليمن والذي قام الأئمة بطمسها وإغائها ويضاف إليها تشويه متعمد لحكم العثمانيين في اليمن وأنهم لم يقدموا شيئاً يذكر سوى منافعهم لأشخاصهم ولدولتهم في الإستانة.

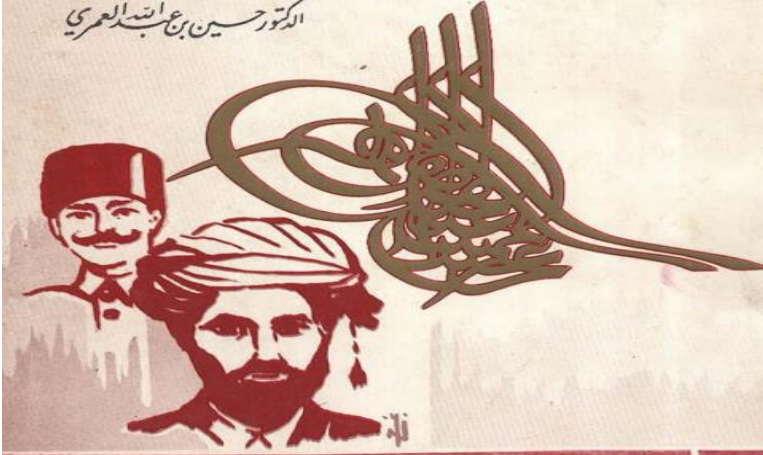
أعد تلك الدراسات والبحوث المتحيزة وغير المنصفة باحثون عرب وأرمن علمانيون ومسيحيون كثر وكذلك صفويون من الباحثين الشيعة الاثني عشرية وكلهم بحكم خلافاتهم الحضارية والدينية والمذهبية السابقة مع الدولة العثمانية لم يكونوا منصفين ولا صادقين ولهذا جاءت مخرجات تلك الدراسات مضللة ومزيفة، وقد أسهمت إلى حد كبير في طمس الحقائق أو قراءتها قراءة انتقائية تخرجها عن سياقها التاريخي ولي للحقائق, وبالتالي أسهمت إلى حد كبير في تضليل أجيال من العرب والمسلمين الذين كانوا ومازالوا يكتبون إلى الآن عن تاريخ الاستعمار العثماني في البلاد العربية!!

من تاريخ اليمن الحديث والمعاصر

حوليات العلامة ابحراني

١٣٠٧ - ١٣١٦ هـ / ١٨٨٩ - ١٩٠٠ م

تحقيق وتحرير
الدكتور حسين بن ابي العري



دار الفكر
بيروت - سورية

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان



ISTITUTO
VENETO
PER I BENI
CULTURALI

الصندوق
الاجتماعي
للتنمية

الجمهورية اليمنية
الصندوق الاجتماعي للتنمية

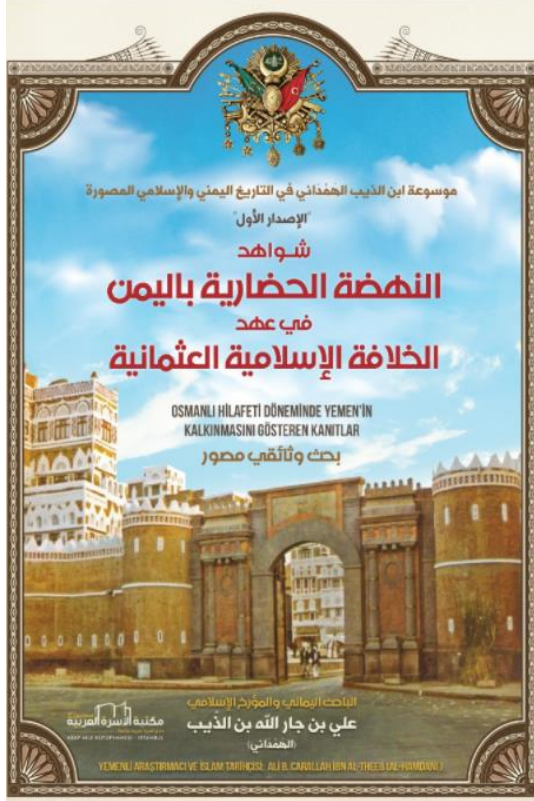


رينزو مانزوني

اليَمَن

رِحْلَةٌ إِلَى صَنْعَاءَ

1878-1877



المؤرخ علي بن الذيب
 في عهد الخلافة الإسلامية العثمانية
 بحث وتأليف مصور
 مكتبة الأسرة العربية

الشيخ المؤرخ علي بن جار الله بن الذيب

إسهام في العلوم الشرعية وإخافة العربية - اليمن
 يشغل حالياً مستشاراً لوزراء الثقافة واليمن ويسمى بمركز أجيال التاريخ وعلمه الحضارية.
 بحث في التاريخ اليمني والعالمي وبمختلفها المتفرقة.
 بحث في الحضارة العربية والإسلامية والتاريخ الثقافي الإسلامية العثمانية وبمختلفها الحضارية في اليمن والتاريخ
 معسكر استراتيجي في عملية التعمير الحضاري لكافة ولاية الجزيرة المشرف والمشرق والإسلام بالعالم الأمت.
 بحث في الفكر الإسلامي وعلمه الإنساني المعاصر، وله رؤية جديدة لتعلم عقائد الدين الحضارية في موج التاريخ
 مؤسسين ومشاركين ومستشارين في العديد من المؤسسات والجمعيات الثقافية والشؤون والتعاونية والمؤتمرات
 والمنسقيات المستقلة. والشيء العادي من التعديلات التاريخية والفكرية والعقائرية الواسعة المسنونة والمعادت يورش العصر دلتها بشار حيد
 قام بالعديد من الأبحاث والدراسات العلمية وتنظيم معانيه كرحلات الصحابة والتوجيه وأصنافها وتصوير وتوثيق ما أمكن منه وإقرار خطتها
 لا جيل، ولقد وضع العديد من الصور والوثائق التاريخية لتندرج في سلسلة التاريخ اليمني والعربي والإسلامي.

شواهد النهضة الحضارية باليمن في عهد الخلافة الإسلامية العثمانية

في الجدل بين الحضارة وحسن العلوم والتعاليم بين الشعوب والأمة، وكل من يمسح إلى نغمة وعزّة هذه الإله، فإن شغها واستعدادة
 حلوها العثمانية وندى الثقافة، والتعمير الإلهي بين كتلة العرب والمسلمين وكل راصهم جناني الأمة العرب والأزرك.
 هذا الكتاب يبين جانب من حضارتنا وهنئنا الإسلامية في اليمن والتي شملت جميع الممارات الحديثة المستقلة حين كما خير أمة أخرجت
 للناس، فهو يوثق لرحلة مهمة من التاريخ الإسلامي معتملة بالعلم الحضاري في اليمن الذي كان وما زال مكان جليل بين الحضارات والمؤرخين
 بالرغم من انقضاء وجوده ليست، بقليل على أقران لده من صعد اليمن وتيرة من الإفتقر الإسلامية، ولكن من آثار من الزمان التي
 المؤرخ ابن الأثير وما يزال يندرسه العلماء ويحللها البحث والدراسة ويجمع الصور والوثائق النادرة للشواهد الحضارية المتفرقة اليمني
 والإسلامي بهذا العهد العثماني، مستغلة في ما هذا كتلة إعادة التعمير لشعب، خاصة من التاريخ اليمني والإسلامي، وتشهد ما شانه الزيد، معاً
 والتكاتف أمة، الباطل فيها والظاهر حضارة الوحدة والحدقة الإسلامية وبمختلفة الجهود المشتركة بين المسلمين والعلماء الذين والتي تم
 جمعها بين دفتي هذا الكتاب الوثائقي بأسلوب ثقافي وعلمية مستنيرة وبمختلفة المنهجية لتعلم على الخلف والشواهد، فدعنا بصور معبرة
 لمؤرخ ومؤشرات نغمة حضارية لشواهدنا ما نتضح حين زرقها وثائق علمناها ومن لم يباين الفكري الكوريم كيف لوقت كل نكت
 الإشارات الحكيمة في عهد حكم أمة شريفة (الهادية الزويدية) التي شملت على الحكم في اليمن بعبوة من الاستعداد، بعد تلك الفترة
 المتفرقة من كروج اليمن الإسلامي المتقوى عليه.

www.ArabFamilyBz.com
 +963 511 831 81 89
 +963 511 831 71 51
 #ArabFamilyBz.com

مكتبة الأسرة العربية
 مؤسسة خيرية إسلامية
 صناديق تبرعها: مؤسسة خيرية إسلامية
 978 9953 746 184 74